جامعة تكريت/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

المرحلة: الثالثة

مادة: النقد العربي القديم

المحاضرة السابعة:

ابن المعتز ونظرية البديع

مدرس المادة: م.د. محمد صلاح شجاع

1448هـ 2026م

ابن المعتز ونظرية البديع:

ابن المعتز : هو أبو العباس عبدالله بن المعتز بن المتوكل ، ولد سنة 247هـ في سامراء ، بعد مقتل جدّه المتوكّل ، أثناء خلافة أبيه ، ووُلِّيَ الخلافة سنة 296هـ ، ثمّ قُتِلَ بعد يومٍ وليلةٍ ، فكان مولده ومقتله في سامراء ، نشأ نشأة علمية أدبية منذ نعومة أظفاره ؛ فدرس العربية وعلوم اللغة على يديّ أبي جعفر محمد بن عمران الضبّي النحوي الكوفي ، وحضر مجالس المبرّد وثعلب ، وكان معاصراً لقدامة بن جعفر، وأبي بكر الصُّولِيّ ، وابن طباطبا العَلَوِيّ ، وابن قتيبة ، وغيرهم من العلماء .

وكان متقدما في الأدب ، غزير العلم، بارع الفضل، حسن الشعر يقصد فصحاء العرب ويأخذ عنهم، آلت الخلافة إلى المقتدر، فاستصغره القواد وخلعوه ، وأقبلوا على ابن المعتز وبايعوه على الخلافة ، قال الشعر وهو في الثالثة عشرة من عمره ، وهذا ما حدى بـ (طه حسين وسعد الشّبليّ) من المحدثين إلى إنكارِ شعرِهِ ، قالا: إنّه منحولُ عليهِ ، وأجمع النقّاد والعلماء على أنّ ابن المعتز هو أشعرُ قُرَيش ؛ إذْ قال شعراً في فنونِ الشّعر ؛ فأجادَ وانمازَ بشعره في ثلاثة مميّزاتٍ رئيسةٍ ، هي:

أ- ميله إلى البديع والتشبيهات . ب- التّأنّق في اللغة الشعريّة . ج- ابتكار المعاني .

أهم الأثار التي تركها لنا ابن المعتز، هي : 1= ديوان شعره . 2- « البديع » . 3- « طبقات الشعراء » .

وهي جميعها مطبوعة ومتداولة بين القُرّاء ؛ نتيجةً لاشتهارِهِ ، وميلِهِ إلى البديع ، وقال عنه ابن رشيق : (انتهي إليه التشبيه وسرّ صناعة الشعر) ، وقال الثعالبي: ((في (تشبيهات ابْن المعتز) يضْرب الْمثل بهَا في الْحسن والجودة وَيُقَال إِذا رَأَيْت كَاف التَّشْبِيه فى شعر ابْن المعتز فقد جَاءَك الْحسن وَالْإِحْسَان))// ثمار القلوب في المضاف والمنسوب (ص: 227) ، ومن المرجح أن يكون ولع ابن المعتز بالبديع ، وبالتشبيه بخاصة ؛ راجع الى البيئة التي عاش فيها ، فقد عاش عيشةً مترفةً في ابّهةٍ وبذخٍ وسط القصور ، واحسن تصوير بيئته

وصدق ، وقد لا يلجأ إلى الافتعال والصنعة المتعمدة ؛ بل إنّ تشبيهاته كانت مستمدة من البيئة التي عاش فيها فعلاً ، وقد تنبّه معاصروه إلى هذا ، ولا سيّما ؛ ابن الرّوميّ الذي مثّل الوجه الآخر للبيئة .

البديع : هو الجمال ، وهو صنف آخر من أصناف البلاغة ، وأمّا التشبيه فهو ضربٌ من ضروب البديع ، الذي اتّضحت فنونه ورسّخت قواعده وأصوله في عصر ابن المعتز ، فعرف بإسم:(البديع) ، وقد اقترن بإسم ابن المعتز ، بعد أنّ ألَّفَ كتاباً في ذلك ، أسماه:(البديع) ، وجاء سبب تأليفه ؛ لرغبةٍ علميّةٍ بحتةَ ، وقد عرّف ابن لمعنز البيد بقوله : (اسم موضوع لفنون من الشعر يذكرها الشعراء ونقاد المتأدبين منهم فأما العلماء باللغة والشعر القديم فلا يعرفون هذا الاسم ولا يدرون ما هو وما جمع فنون البديع ولا سبقني إليه أحد) // البديع لأبو العباس بن المعتز (ص: 29) .

وصحيح أنّ أحداً لم يكتب في البديع كتاباً منفرداً خاصّاً به ، غير أنّ العلماء والشعراء يعرفونه ، فالجاحظ في كتابيه: (البيان والتبيين) و(الحيوان) يذكر شذرات من البديع ، فقد كان معجباً بقول الأشهب بن رحيلة :

هُمْ ساعِدُ الدّهرِ الذي يتّقي بهِ * وما خيرُ كفٍّ لا تنوءَ بساعد**

فوقف على قوله : (هم ساعد الدهر) ؛ فقال: إنّما هو مثل ، وهو الذي تسميه الرواة بـ(البديع) ، وفي موضعٍ آخر قال الجاحظ:(إنّ الرّاعي النّميريّ كثير البديع في شعره) ، وقال أيضاً : (بشّار حسن البديع ، والعتابي يذهب شعره في البديع) ، وقال ابن المعتز : إنّ النوع الخامس من البديع : هو المذهب الكلامي ، وقد أسماه الجاحظ بهذا الاسم ، حينما ذكر (أرسطو) البديع وهو يتحدث عن الاستعارة ، وعدّها سِمَةً للعبقريّة ، وهي عنده بابٌ من أبواب البديع ، بقيَ أن نعرِفَ أنْ ابن المعتز قد ألَّفَ كتابه : (البديع) ، وهو في السابعة والعشرين من عمره ، أي: في سنة (274ه) .

سبب تأليف كتاب البديع :

عاش ابن المعتز في الحقبة الذهبية التي شهدت تطور النقد الأدبي ؛ إذْ كان معاصراً كبار النقاد ، على نحو: ابن قتيبة وقدامة بن جعفر والمبرّد وثعلب وابن طباطبا العلويّ ، وكلهم لديهم كتب نقدية ذات مستوىً رفيعٍ ؛ فضلاً على اطّلاعِهِ على براء ابن عبيدة والأصمعيّ وابن سلاّم والجاحظ ، وهذا ما ولّدَ لديه ولَعاً بالبديع؛ فأراد أنْ تكون له بصمات فنيّة واضحة في هذا الميدان ، ولا سيّما ، وإنّ ابن المعتز قد ألّفَ كتاب طبقات الشعراء المحدثين بعد تأليفه كتاب البديع ، بمدّة ستّ سنواتٍ ، ويُعَدُّ كتاب الطبقات : الجزء الثالث، أو الجزء المتمّم لما كتبه ابن سلاّم ، ولم يتباين النقاد في سبب تأليفه كتاب الطبقات، غير أنّهم تباينوا في سبب تأليف كتاب (البديع)، وفي ما يأتي أبرز آرائهم:

1- قال شوقي ضيف : إنّ ابن المعتز ألّفَ الكتاب دفاعاً عن عشيرتِهِ ، وإنّ غايته من تأليف هذا الكتاب : أنْ يُثبِتَ للقرّاء أنّ المحدثين لم يخترعوا البديع الذي يلجون به ، وقال: (إنّ الذين يقولون إنّ البديع من اختراع المحدثين إمّا متفلسفينَ أو متعصّبين لم يتعمقوا في الأدب وأصوله ، وإمّا هم من أصول فارسيّة وشعوبيه ممّن يُغمطون حقّ العرب القدماء ، ويُكرون كلّ فضلٍ يُنسَبُ إليهم ؛ فتصدى لهم ابن المعتز ينقض دعواهم) .

2- قال الدكتور إحسان عبّاس : إنّ سبب تأليف الكتاب راجع إلى الصراع بين القديم والحديث ، ومن ثمّ الانحياز للقديم .

3- أمّا الدكتور داود سلّوم ؛ فيرى أنّ سبب تأليف الكتاب راجعٌ إلى الدفاع عن الشعراء المحدثين ،وأضافَ قوله : إنّ ابن المعتز أرادَ أنْ ينفي عن المحدثين حقّ ابتكار البديع ؛ إلاّ أنّه أكّدَ في الواقع حقيقةً أخرة مفادُها : أنّ الشعر الحديث لم يَقُمْ على الأصول العربيّة ولا على عمود الشعر في استعمال البديع .

4- أمّا الدكتورة ابتسام الصّفّار ؛ فَرَأَتْ أنّ سبب تأليف كتابه : الدفاع عن الشعر النحدث بوعيٍ علميّ ودافعٍ أدبيّ ، خطّطَ له ابن المعتز ، الذي هومن أنصار المحدثين ، وأكّد ذلك بوساطة تأليفه لكتاب(طبقات الشعراء) .

5- أمّا الدكتور طه حسين ؛ فكان له رأي آخر ؛ إذْ قال: ((إنّ ابن المعتز متأثّر بالفلسفة اليونانيّة ، ولا سيّما: كتاب (الخِطَابَة) لأرسطو ، غير أنّ من يقرأ كتاب البديع لا يَجِدُ أثَراً يونانيّاً فيه .

منهج كتاب (البديع) :

قسّم ابن المعتز كتاب (البديع) على خمسة أجزاء أو أبواب :

1- الاستعارة . 2- التجنيس . 3-المطابقة . 4- ردّ أعجاز الكلام على ما تقدمها. 5- المذهب الكلامي .

وعلّق ابن المعتز على هذا التقسيم قائلاً : ((اقتصرت البديع على الفنون الخمسة من غير جهلٍ بمجانسة الكلام ، لا بضيق المعرفة)) ، وهذا القول يعني: أنّ البديع لا يتجاوز الأقسام الخمسة عنده ، غير أنّ متصفح الكتاب ، يتفاجأ بعد الخاتمة بابن المعتز ، وهو يسرد أبواباً جديدةً للبديع ، عددها ثلاثة عشر باباً ، هي: 1- الالتفات 2= الاعتراض 3- الرجوع 4- تأكيد المدح بنما بشبه الذم 5 تجاهل العارف 6-الهزل يراد به الجد 7- حسن التضمين 8- التعريض 9- الكناية 10- الأغراض في الصّنعة 11- حسن التشبية 12- لزوم ما لا يلزم 13- حسن الابتداء .

المنهج الّذي سار عليه ابن المعتز :

أوّلاً : اتّبع ابن المعتز منهجاً ثابتاً في تأليفه لكتاب البديع ، غير أنّه لم يلتزم به في بعض الأبواب ، فهو قد بدأ بتعريف الضرب البديعيّ ، ثمّ أوردَ أمثلةً على القرآن الكريم والحديث الشريف وأقوال الصحابة والشعر الإسلاميّ العباسيّ ، ثمّ ختمَ كلّ بابٍ منها بالمعيب فيه غن الشواهد التي أساء أصحابها استعمالها .

ثانياً : سارَ ابن المعتز على منهجٍ فنّيٍ تاريخيٍّ في سرد الشواهد ، غير أنّه حينما وصل إلى باب التجنيس ؛ عرّفه وأوردَ شاهداً من القرآن الكريم ، لم يأتِ بشواهد من الحديث النبوي الشريف ولا من أقوال الصحابة ولا من الشعراء الجاهليين والإسلاميين ؛ بل جاء الشاهد أمويّاً .

ثالثاً : في الباب الخامس - وهو المذهب الكلاميّ – لم يأتِ بشواهد قرآنية أو أحاديث شريفة ؛ بل اكتفى بشواهد لأبي الدرداء والفرزدق وعمر بن الخطاب ثم لشعراء محدثين ، وعلّة ذلك راجعة إلى أنّ القرآن الكريم هو كلام الله ، والله سبحانه وتعالى نهى عن التكلف ، فضلاً عن الصحابة ، وقبلهم الرسول(ﷺ)، وهذا غير مسوّغٍ ، وأيضاً تقديمه الفرزدق على عمر بن الخطاب(رضي الله عنه).

رابعاً : لدى متابعتنا الأبواب الملحقة ؛ نلحظ أنّ ابن المعتز لم يلتزم بمنهجه الذي حدّده في أول كتابه ، فهو لم يطبّق المنهج التاريخي لأصحاب الشواهد بحسب عصورهم ؛ فضلاً عن خلوّ عددٍ من الأبواب من الشواهد القرآنية ؛ فإذا كان الباب الخامس مبرّراً ، فالأبواب الأخرى غير مبرّرة .

وخلا باب حسن التشبيه من الآيات ، أمّا البلاغيون فقد شُغِفُوا بتشبيهات القرآن الكريم وأبرزوا وجوه الجمال ، فضلاً عن الأحاديث الشريفة وأقوال الصحابة في الأبواب كافّة ، عدا بابيّ الالتفات والكناية ، ونلحظ أيضاً أنّ هنالك تداخلاً بين الشعراء ، فهو بعد أنْ استشهد بشعر بشارٍ ؛ جاء بشاهدٍ لزهيرٍ بن أبي سُلمى وحسّان بن ثابت .

عيوب الأبواب الثلاثة عشرة :

1- عدم التزامه بالتسلسل التاريخي لترتيب الشعر والشعراء .

2- عدم التزامه بتقديم النثر على الشعر ، وفي هذا دِلالة على أنّه كان متأنيّاً في القسم الأول ، مالكاً زمام المنهج ، مع كثرة الشواهد والأمثلة .

أمّا الجزء الثاني ؛ فكان فيه متعجّلاً ، ويظهر ذلك من كثرة مخالفاته وقلّة شواهده ، وهنالك ملاحظة أخرى : وهي ترتيبه الجزء الأوّل بحسب أهميّة الباب ، فضلاً عن كثرة دورانهِ على ألسنة الناس مع كثرة الشواهد ، ولم يطبّق هذا الترتيب في الجزء الثاني ، فالباب التاسع (وهو حسن التشبيه) من أطول الأبواب وحقّه أن يتصدّر الأبواب .

3- ذكر الشواهد في مواضعها دون ايّ تعليقٍ في أغلب الأحايين ، وكان قد اكتفى بالشروح القصيرة الموجزة .